دور تنمية مباني الألفاظ و معانيها في بلاغة القرآن الكريم

ستنا محمد علي حمد*

المستخلص

تُعَدُّ قضية اللفظ والمعنى، من أهم القضايا التي تناولها علماء اللغة والبلاغة والنقد بالدراسة ، وذلك لاتصالها بعملية الفهم والإفهام ، ولعلاقتها بإعجاز القرآن الكريم، وتحديه للعرب بالبلاغة والبيان . ركز البحث على أثر تنمية مباني الألفاظ ومعانيها في بلاغة القرآن الكريم ، من خلال دراسة اختلاف الصيغ التي وردت في الآيات تبعاً للسياق الذي وردت فيه، وتنمية المعنى عن طريق المجاز والكناية وغيرهما ليعبر عن المعاني التي تجذب المخاطبين وتثيرهم ، وإخفاء المعاني التي لا يريد إبرازها النص القراني بل تأتي مخفية لغرض بلاغي. هدفت الدراسة إلى إبراز أثر تنمية مباني الألفاظ والصيغ في بلاغة القرآن الكريم، من حيث المبالغة وغيرها ومعرفة المعاني القرآنية ومراميها وأغراضها من خلال تنمية المعاني، وذلك بتوفر مستويين لمعنى الألفاظ : مستوى معجمي، مستوى فني. توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها: اختلاف الصيغ في القرآن الكريم تبعاً للسياق ، وتبعاً لبنيتها مما يؤدي إلى تنميةٍ تدل على المبالغة والتكثير والخصوصية وغير ذلك ، وتنمية معاني الألفاظ القرآنية ليفهم منها معانٍ ومرامٍ وأغراض بلاغية .

ABSTRACT

The matter of word and meaning is considered as one of the most important topics that were discussed and studied by linguists and stylists, this because it is related to the comprehension and comprehensibility which is in turn connected to the miracle of the Holy Quran and its challenge for Arabs by its eloquence and rhetoric. The study concentrates on the effect of developing the structure and meanings of the words on the eloquence of the Holy Quran through discussing the forms that appear in the Quran according to their context; developing and expanding the meaning by figurative language to express the implications that attract the addressee and affect them and hiding the meanings which are not to be revealed by the text of the Quran due to a rhetorical purpose.The study aims to expose the effect of developing the structure of words and phrases on the eloquence of the Quran within the framework of aggrandizement and others; and to know the Quran meaning, aims, purposes through development of the meanings so as to provide two levels of the meaning: denotative and connotative meaning.

The study concludes the following findings:

- Words in the Holy Quran vary according to their context and structure and this leads to a style of aggrandizement, magnification, exclusiveness, etc
- The implications of the Quranic words are developed to denote to meanings, aims and rhetoric purposes.

الكلمات المفتاحية:

الأثر – البنية – الصيغة

• قسم اللغة العربية – كلية اللغات – جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا– هاتف: ٠٩١١٦٣٣٣٠١

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفصح الخلق لساناً، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداهم إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً، وبعد:

بحث العلماء عن سبب إعجاز القرآن الكريم، وذكروا أسباباً كثيرة هي أهمها: الإعجاز البياني، فالقرآن الكريم مع كونه غير خارج عن كلام العرب، وسنن لغتهم ، لكنهم عندما حاولوا مجاراته ومعارضته استحالت علهيم وعجزوا، وسبب عجزهم المزايا والخصائص التي أختص بها ، فالإعجاز ليس في صور الألفاظ وألوان المعاني وحدها . وإنما من أسباب العجز وضع الصور في الموقع الذي يجعلها أكثر تأثيراً وتعبيراً ، ذلك ما تحدث عنه شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم – فاللفظ عنده لم يكن محدداً في جمال الأصوات وتناسقها فقط ، كما لم يكن المعنى عنده قاصراً على الفكرة أو المضامين فقط ، وإنما جاء اللفظ لخدمة المعنى ، وأن تكون الألفاظ متناسبة مع المعاني ، فالكلام البليغ عنده لا بد له من عناصر ثلاثة: لفظ ومعنى ونظم . وقد تناول البحث أثر تنمية مباني الألفاظ ومعانيها في بلاغة القرآن الكريم ، وتمثل الأثر والإعجاز في أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد وكلاهما حسن في الاستعمال وهما على وزن واحد إلا أن الآيات في نسق معين تختار إحداهما وتفضلها ولا تختار الآخرى ، وفي نسق آخر تختار الأخرى . كما أن الألفاظ ذات الجذر الواحد التي تختلف في سياقها بالزيادة أو النقص عن جذرها . جاءت في القرآن الكريم متناسبة مع المعنى الذي تؤديه قوةً وضعفاً، كما أن معاني الكلمات ومراميها وأغراضها لها منازل فهنالك المعنى الذي هو بمثابة الأصل (المعجمي) وهنالك المعنى الذي هو تابع للمعنى الأول وهذا ما رصده البحث في المجاز والاستعارة والكناية، كلها تمثل تنمية للمعاني واتساعاً أمكن بواسطتها التعبير عن تشخيص الجوامد، وتجسيم المعنوي أي وصف المعنوي بمحسوس . تحققت في القرآن الكريم غاية البلاغة المتمثلة في الجمال الفني، وتعددت فيه الأساليب التي تراعي مقتضى الحال ، فهو الذي لا تنقضي عجائبه، أعجز الجيل الذي نزل فيه، وسيظل معجزاً إلى يوم الدين .

الهدف من الدراسة :

١. تعميق الإيمان بأن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة من خلال تنمية مباني الألفاظ ومعانيها .
٢. توضيح حسن التلاؤم بين اللفظ والمعنى، وتبيين العلاقة الوثيقة بين الصيغة ودلالاتها الفنية في القرآن الكريم .
٣. التعليل لبلاغة اللفظة واختلاف معناها من موضع إلى موضع وفق مقتضيات السياق في القرآن الكريم، من خلال ربط البنية المعجمية بالبنية الموظفة في السياق .
٤. إثبات أن تنمية المعنى تتمثل في التصوير والتجسيد والتشخيص حتى يتخطى المعنى المعجمي إلى آفاق أرحب وأوسع، ومستويات أدق من خلال المجاز وغيره في القرآن الكريم .

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية هذا البحث في أنه يبحث في كتاب الله وهو الكتاب المعجز الخالد لإثبات بلاغته وإعجازه من خلال تنمية الألفاظ والمعاني . لا سيما أن قضية اللفظ والمعنى مثلت إشكالاً بين العلماء قديماً وحديثاً ، وللإسهام في معرفة سر إعجاز القرآن الكريم.

أسئلة البحث:

١. ما الإشكالية الحقيقية في العلاقة بين اللفظ والمعنى ؟ وكيف تم تجاوزها؟
٢. ما الفرق بين الصيغة والبنية؟

٣. ما سر إختيار القرآن الكريم لبعض البنى والصيغ دون بعض؟
٤. ما مستويات المعنى البلاغي الذي تفيده الألفاظ في القرآن الكريم ؟
٥. ما طبيعة المعنيين الدلالي والمعجمي للألفاظ وما أثرهما في بلاغة القرآن الكريم ؟
٦. ما سر تغيير لفظة واحدة في التراكيب القرآنية المتماثلة؟

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون منهجه استقرائيًا وصفيًا تحليليًا.

اللفظ والمعني:

تنبه النقاد والبلاغيون العرب الي قضية اللفظ والمعني، عندما تحدثوا عن المعنى الكريم، وأنَّ من الواجب أن يلتمس له اللفظ الكريم.[١] فهذه القضية من أهم القضايا التي شغلتهم حديثا مثلما شغلتهم قديماً ، لأهميتها لأن بها تكون اللغة ويتم الفهم لذا سموها تسميات كثيرة ، اطلقوا عليها الشكل والمضمون حيناً والمادة والمحتوي أو الصورة والدلالة أحياناً.

وقد عالج العلماء ما ينشأ بين اللفظ والمعني من علاقات لغوية دقيقة نتيجة لالتحامهما وارتباطهما رغم الوجود المستقل لكل منهما . كان أول من تناولهما بالدراسة الجاحظ . ويقال إنّه فصل بينهما في قوله الشهير: " المعاني مطروحة في الطربق يعرفها العجمي والعربي، البدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن و تخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك ... "[٢] ومن الواضح أن الجاحظ هنا أكد أهمية اللفظ وفضله على المعنى، ولكنه في موضع آخر يؤكد العلاقة القوية بينهما حيث يقول : " ... وإنما الألفاظ على أقدار المعاني فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها وسخيفها لسخيفها .. "[٣] أما ابن قتيبة فقد تأثر به وفصل بينهما حين قسم الشعر وصنفه إلى أربعة أصناف حسب نظرته إليهما حيث يقول: " ضرب لفظه جيد ومعناه جيد ، وضرب لفظه جيد ومعناه تافه ، وضرب لفظه قاصر ومعناه جيد، وضرب لفظه قاصر ومعناه قاصر "[٤] أما قدامة ابن جعفر فقد فصل بينهما وركز على اللفظ وقد ذهب صاحب العمدة إلى أن العمل الفني ترجع فنيته لتآذر اللفظ والمعنى تبين ذلك في قوله : " اللفظ جسم وروحه المعنى"[٥] إلا أن عبد القاهر الجرجاني كانت له أراؤه الخاصة به التي ترفض الفصل بينهما لما بينهما من شدة التحام حيث يقول : " الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض "[٦]

---

(١) ابن رشيق، أبي علي الحسن(١٩٨١م) العمدة في محاسن الأدب، حققه : محمد محي الدين، ط٥، دار الجيل ، بيروت، ص ١٢٤.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر(١٩٧٩م) الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، ج٣، الهيئة المصرية، القاهرة ، ص ١٣١.

(٣) المرجع السابق، ص ١٣١.

(٤) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم(١٣٣٢هـ) الشعر والشعراء، ج١، مطبعة الفتوح الأدبية ، ، مصر، ص٧٤.

(٥) ابن رشيق، العمدة في محاسن الأدب، مرجع سابق، ص ١٢٤.

(٦) الجرجاني، عبد القاهر (١٩٩٧م) دلائل الإعجاز، شرحه وعلق عليه: د. محمد التنجي، دار النشر للكتاب العربي، ص ٢٠٣.

يتضح مما قاله أنه جعل الألفاظ لا تتفاوت من حيث هي ألفاظ مجردة، ومن حيث هي كلمة مفردة ، وإنما تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها ويؤكد ذلك بقوله : " فإنا لنرى اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع ، ونراها بعينها فيما لا يحصى من المواضع وليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير "[٧].

وهنا نجد مفهوم كلمة الفصاحة كصفة للفظ ، ومفهوم كلمة البلاغة أو البيان كصفة للمعنى عنده ، فارتباط الفصاحة باللفظ والبلاغة بالمعنى نجده عند كثير من العلماء منهم: أبو العسكري الذي يقول: " ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ والبلاغة تتناول المعنى أن الببغاء يسمى فصيحاً ولا يسمى بليغاً إذ هو مقيم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إن كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير مستكره فج ولا متكلف وخم ..."[٨] وقد ذهب عبد القاهر إلى أن الكلمة تحسن في موضع ولا تحسن في موضع آخر أي أنه أنكروا ارتباط البلاغة والفصاحة باللفظ وحده ولا المعنى وحده دون الصياغة . ولذلك لم يكن إعجاز القرآن الكريم عنده في الألفاظ وحدها، ثم ينطلق إلى نظريته الجديدة في النظم التي قضت على ثنائية اللفظ والمعنى، وانفصال كل واحد منهما عن الآخر ، وظهرت فكرة العلاقات بين الكلمات في ترتيبها الجُملي وكيف يتفاوت إبراز المعنى وتصويره حسب تفاوت هذه العلاقات التي كلما كانت متناسقة محكمة بلغ الكلام حظاً وافراً من الجودة والإتقان .

كما أنكر عبد القاهر أن يكون للألفاظ وحدها مزية، أنكر ذلك في المعاني ، والمعول عليه عنده النظم، والأسلوب، والصياغة وقد قال في النظم:" أعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله ... "[٩] ثم تحدث في النظرية عن ترتيب الكلام بحسب ترتيب المعاني في النفس يقول في ذلك: " بأنك ترتب المعاني أولًا في نفسك، ثم تحذو على ترتيب الألفاظ في نطقك أثناء اتحاد أجزاء الكلام داخل تعبير لغوي "[١٠] .

وأخذ يتحدث عن فساد النظم حين يعمد الشاعر إلى المعاظلة نحو قول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مُمَلّك

أبو أمـــه حيٌ أبوه يقاربه

فإنه أفسد الكلام بسؤ ترتيبه ، ويظهر ذلك حين نعيد الكلمات إلى ترتيبها الطبيعي وهو " وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكاً أبو أمه أبوه " .

مدح الشاعر إبراهيم بن هشام خال هشام ابن عبد الملك وفي ذلك يقول الخطيب القزويني : " ... فصل بين (أبو أمه) وهو مبتدأ و (أبوه) وهو خبره ب(حي) وهو أجنبي، وكذا فصل بين (حي) و (يقاربه) وهو نعت حي ب (أبوه) وهو أجنبي، وقدم المستثنى على المستثنى منه، فهو كما تراه في غاية التعقيد "[١١]

والجرجاني لم يرجح جانب المعنى على جانب اللفظ ، ولم يقلل من قيمة الصياغة لذلك قال فيه أحد الباحثين: "

([٧]) المرجع السابق، ص ٥٤.

([٨]) أبي هلال العسكري(د.ت) الصناعتين، حققه: صفيد قسمه، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ص ١٧.

([٩]) الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص ٥٥.

([١٠]) المرجع السابق، ص ٨٢٠

([١١]) الخطيب القزويني(١٤٢٩هـ) الإيضاح في علوم البلاغة، راجعه محمد عبد القادر، المكتبة العربية، صيدة ، بيروت، ص ١٣.

... ولذلك كان منهجه هو المنهج المعتبر اليوم في العالم الغربي "[١٢].

تنمية مباني الألفاظ:

هي التنمية الأفقية التي نعني بها امتداد الألفاظ أُفقيًّا، بإضافة ألفاظٍ جديدة تُعَبِّر عن معانٍ جديدة، أطلقَ عليها العلماء: مصطلح المولد، أو المحدث، وتحدث تنمية مباني الألفاظ بوسائل كثيرة تنمي مباني الألفاظ لتعبر عن معانٍ كثيرة ، وفي هذا البحث سنركز على أهم وسيلة لارتباطها بالألفاظ نفسها ، تلك الوسيلة هي الاشتقاق، ويراد بالاشتقاق أخذ كلمة من أخرى مع اتفاقهما في الحروف الأصيلة ، وإذا اتفق المشتق مع المشتق منه في الحروف الأصول اتفق معه في المعنى المشترك المستفاد من المادة اللغوية وذلك نحو : (ك . ت . ب) يكتب، كاتب، مكتوب يوجد فيها جميعاً المادة المضافة في معنى إضافي ، وهو أنواع مختلفة لأنه قد يختلف المشتق مع المشتق منه في نوع الحروف دون أن يختلفا في المعنى ، كما في الإبدال . ويُعَدُّ الإبدال مستوى لهجي كما نقول : " هتلت السماء وأخرى نقول هتنت السماء ، وثالثة نقول هطلت ... "[١٣] وقد يختلف المشتق مع المشتق منه في ترتيب الحروف دون أن يختلفا في المعنى كما في القلب المكاني نحو: جذب و جبذ، وفي الاشتقاق الأكبر نجد أن الدلالة لا تفارق الحروف أياً كان موضعها مثل : " جبر و جرب و ربج ورجب وبرج وبجر تدور حول عدم التماسك ... "[١٤] وهنالك نوع آخر يختلف المشتق مع المشتق منه في عدد الكلمات ، وهذا يسمى بالنحت مثل "حمدل" من "الحمد لله" ، فالاشتقاق يتنوع إلى أنواع يختلف العلماء حول مدلولها ، كما أن بعضها يُعَدُّ خلافاً بين اللهجات مثل الإبدال والقلب ، أما النحت فهو اختصار . وما يكون به نمو المعاني أكثر هو الاشتقاق الصغير أو الأصغر عند بعض العلماء وهو أخذ كلمة من أخرى مع اتفاقهما في أعيان الحروف وترتيبها والمعنى المستفاد من المشتق منه الذي يمثل المادة اللغوية أو هو كما قال أحد العلماء نقلاً عن ابن مالك: " أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لتدل الثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة ، لأجلها اختلفا حروفاً وهيئة كضارب من ضرب " [١٥]، و يُعَدُّ الاشتقاق من أميز ميزات اللغة العربية يمكّن من التعبير عن المعاني المختلفة في سياقات مختلفة ، و يُعَدُّ تنمية ، وذلك لأن الحروف الأصول التي تؤدى المعاني المعجمية هي الأصل وما زاد أو نقص عنها يعبر عن معنى آخر وفي ذلك يقول أحد الباحثين : " ... واتخاذ الصيغة الصرفية أداة من أدوات خلق الحدود بين الكلمات في السياق ... "[١٦] فكل لفظ من ألفاظ اللغة العربية له استقلاليته بصيغته ليؤدي معنى وظيفيًّا إضافة لمعناه المعجمي، واختيار الصيغة المعينة من قبل المبدع ووضعها في مكانها المناسب يدل على براعة وحذق وحسن اختيار المبدع ، والصيغة لا تكتسب الميزة إلا إذا كانت هنالك صيغة أخرى صالحة لأداء وظيفتها العامة من جهة ، وأقل أداءً أي أقل بلاغةً عما تؤديه في سياقها الخاص من جهةٍ أخرى، ومن ثم كانت المقارنة كما يقول الدكتور حسن طبل: " بين الصيغتين الأصيلة أو

([١٢])عمايرة، أحمد(٢٠٠٤م) في النقد الأدبي، ط١، مكتبة الرشد ، الرياض، ص ٢٣٧.

([١٣]) إبن جني، أبو الفتح عثمان(١٩٥٢م) الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار،ج٢، دار الكتب المصرية، مصر،ص٨٢.

([١٤]) المرجع السابق، ج٢ ص ١٣٣– ١٣٩

([١٥]) عبد الحميد أحمد يوسف(٢٠٠٨م) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، المكتبة العصرية ، صيدة ، بيروت ، ص ٢٥.

([١٦]) المرجع السابق، ص٢٥.

(المنتقاة) والبديلة (أو المفترضة)"[١٧] ووضع الصيغ في سياقاتها التي بها تطابق مقتضي حال المخاطب والمتكلم يحتاج لبذل جهد وعناء . والصيغة هي كما يقول الدكتور عبد الحميد أحمد هي : " البنية بحركاتها التي تحدد معناها وتمكن من وزنها بأن توضع في قالب من قوالب الأبنية المقررة في اللغة ، فإذا لم يكن ذلك أُعدّت الكلمة بنية وليست صيغة "[١٨] وعلى ذلك تشمل الصيغة الأسماء المعربة والأفعال، إذ إن كل واحد منهما له أوزانه الخاصة به، أما الأسماء المبنية كالضمائر وأسماء الإشارة وغيرها والأفعال الجامدة ، والحروف فهي أبنية ومن ثم فلكل صيغة بنية، وليس كل بنية صيغة، " فالصيغة منحصرة في الأسماء والأفعال والصفات أما البنية فهي شاملة لباقي مباني التقسيم " [١٩] وقد فرق الدكتور محمد مندور [٢٠] بين الصيغة واللفظ فأرجع الصيغة إلى الدراسات النحوية واللفظ إلى الدراسات المعجمية . كذلك تفترق الصيغة الصرفية مع الميزان الصرفي لأن الميزان هو معيار من الحروف تعرف به أعداد الحروف وترتيبها وما فيها من أصول وزوائد وحركات وسكنات، أما الصيغة فهي مبنى صرفي يمثل القوالب التي يصب فيها الصرفيون المادة اللغوية ليدلوا بها على معانٍ معينة، وقد يتفق هيكل الصيغة في صورته مع هيكل الميزان وقد يختلف، فالفعل (ضرب) صيغته (فعل) وميزانه (فعل) لكنهما قد يختلفان في فعل الأمر .

فالاشتقاق الصغير والذي حصرنا كلامنا في جزء منه يحقق التنمية لأنه ينتج كلمات جديدة تعبر عن معان جديدة ، فضلاً عن أنه يحقق التنمية فهو وسيلة من وسائل اللغة في تحقيق الاختصار ، فاللفظة المفردة فيها ثراء دلالي لأن لها معنى معجميًّا واشتقاقيًّا وتجاوريّا وسياقيًّا . وبالاشتقاق يتعدد المعنى للصيغة الواحدة حيث تشترك المعاني في الصيغة الواحدة، فصيغة فعيل تأتي للواحد والجمع ، وفي ذلك يقول صاحب مجاز القرآن في قوله تعالى: ﴿ ...وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [٢١] " العرب قد تجعل فعل الجميع على لفظ الواحد "[٢٢] وقد تتعدد الصيغ للمعنى الواحد ، أما المعنى الفني الدقيق فلا يمكن التعبير عنه بغير صيغته من ذلك قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءم بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ أختير لفظ اسم الفاعل (صافات) ويمكن التعبير عنه بالفعـــل المضارع (يصففن) لوجود (يقبضن) ، كذلك كان يمكن أن يأتي الفعل المضارع يقبضن باسم الفاعل ، ولكن كل ذلك كان رعاية للمعنى الفني الدقيق، وهذا يدل على إعجاز القرآن الكريم وفي ذلك يقول الزمخشري : " فإن قلت لمَ قيل و (يقبضن) ولم يقل (قابضات)؛ قلت: لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والأصل في السباحة مد الأطراف

([١٧]) حسن طبل(١٩٩٨م) المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، مصر.

([١٨]) عبد الحميد أحمد يوسف، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، مرجع سابق، ص ٢٥

([١٩]) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها (١٩٧٩م) الهيئة المصرية للكتاب، ص ١٣٣.

([٢٠]) محمد مندور (٢٠٠٨م) النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر ، ص ٤٣٢.

([٢١]) سورة التحريم، الآية ٤

([٢٢]) أبو عبيدة معمر بن المثنى(د.ت) مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد، مؤسسة الرسالة، ص ٢٦١.

وبسطها ، وأما القبض فطارئ على البسط ..." [٢٣] هذا مادرسه علماء البلاغة فيما يسمى بالعدول أو مخالفة الظاهر، وقد كانت تحليلات الزمخشري تالية لشيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني، فهو الذي طبق نظريته (النظم) في تحليلاته وقد فرق عبد القاهر في النظم بين استعمال صيغة الاسم وصيغة الفعل ممثلة بقوله تعالى: ﴿ ... وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ ... ﴾[٢٤] حيث علق على المعنى قائلاً : فإن أحداً لا يشك في امتناع الفعل هاهنا وأن قولنا : " كلبهم يبسط ذراعيه لا يؤدي الغرض، وليس ذلك إلا لأن الفعل يقتضي مزاولة وتحدد الصفة في الوقت، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل ، ومعنى يحدث شيئاً فشئاً ولا فرق بين (كلبهم باسط) وبين أن يقول : وكلبهم واحد مثلاً في أنك لا تثبت مزاولة ولا تجعل الكلب يفعل شيئاً بل تثبته بصفة هو عليها فالغرض في تأدية الكلب هيئة الكلب . ومتى أعتبرت الحال في الصفات المشبهة وجدت الفرق ظاهراً بيناً ولم يعترضك الشك في أن أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه " [٢٥] فالفعل المضارع يدل على التجدد كما أن الاسم يدل على الثبات ومن أمثلة مجيئ الفعل المضارع بدل اسم الفاعل قوله تعالى: ﴿ ...هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ... ﴾ [٢٦] يقول: عبد القاهر " لو قيل هل من خالق غير الله رازق لكم: لكان المعنى غير ما أريد " [٢٧] وقد جاء التعبير باسم الفاعل عن المضارع كثيراً من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦ ﴾[٢٨] أي يقع فالصفة أفادت أن ذلك متحقق لا محالة لأنها أخبرت أنه متحقق ، وتحقق الواقع المشاهد لا مرية في ثبوته والغرض إدخال الرهبة في النفوس حتى يرتدع من لا يرتدع ومن استخدام الصفة غير اسم الفاعل اسم المفعول ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿...يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ... ﴾ [٢٩] أي يجمع له الناس . يقول ابن الأثير: " أعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً ، لأن الألفاظ أدلة على المعنى، وأمثلة للإبانه عنها ... وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة " [٣٠] أي إذا زادت حروف اللفظ عن الأصل دلت زيادة الحروف على زيادة المعنى ، وقد مثل له ابن الأثير بقوله: خشن واخشوشن فمعنى خشن دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير العين، ومنه قدر واقتدر فمعنى اقتدر أقوى من معنى قدر قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٤٢ ﴾ [٣١]" فمقتدر أبلغ من قادر وإنما عدل إليه للدلالة على التفخيم للأمر، وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب أو الدلالة على بسطة القدر ... وذلك أن مقتدر اسم فاعل من اقتدر وقادر اسم فاعل من قدر ولا شك أن افتعل أبلغ من فعل " [٣٢] ومن مثل ذلك صيغة فعال التي وردت في قوله تعالى:

([٢٣]) الزمخشري، محمود بن عمر(١٩٦٦م) الكشاف، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ، ص ١٢٤.

([٢٤]) سورة الكهف ، الآية ١٨.

([٢٥]) الجرجاني، دلائل الإعجاز ، مرجع سابق، ص ١٤١

([٢٦]) سورة فاطر، الآية ٣.

([٢٧]) نفس المرجع ،ص ١٤٣

([٢٨]) سورة الذاريات، الآية ٦

([٢٩]) سورة هود، الآية ١٠٣

([٣٠]) ابن الأثير، ضياء الدين(١٩٩٨م) المثل السائر، حققه: الشيخ كامل محمد، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص٤١.

([٣١]) سورة القمر، الآية ٤٢

([٣٢]) ابن الأثير، المثل السائر ، مرجع سابق، ص٤١.

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾ [٣٣] لم يأتِ في الأية غافر مع أن المغفرة من غافر وإنما أتت في الآية على صيغة (فعّال) لأنه يدل على كثرة صدور الفعل وهو صيغة مبالغة أما صيغة فاعل فإنها لا تدل على الكثرة .

تناسب الصيغ مع السياق:

الصيغ الصرفية لها معانٍ تؤديها في سياقاتها المختلفة من ذلك المطاوعة والصيرورة والمبالغة والتفضيل هذه المعاني نراها في انفعل واستفعل وفعّال وأفعل على الترتيب، وغير ذلك من المعاني وقد حفل القرآن الكريم بكثير من الصيغ الصرفية المنسجمة مع أبنيتها الصرفية التي يقتضيها المقام والسياق، ومن المألوف أن زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى وهو في القرآن من إعجازه، ومن تناسب اختلاف اللفظين صرفياً مع المتغيرات السياقية والمقامية قوله تعالى:﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [٣٤] وقوله تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [٣٥] ففي لآية الأولى جاءت الأخسرون وهو اسم تفضيل ناسب السياق وهو سياق مفاضلة لأن من الآيات السابقة قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [٣٦] و المعنى أفمن كان على بينة من ربه كمن كفر وجحد وكذب الرسل كما جاءت المفاضلة صريحة في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [٣٧] كما أن قوله تعالى: ﴿ ...يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ... ﴾ [٣٨] فيه قدر من المضاعفة والزيادة والتكثير تتناسب مع معنى (الأخسرون) أكثر من (الخاسرين) فدلالة المفاضلة أو الزيادة تتناسب مع الزيادة التي اشتمل عليها اسم التفضيل (الأخسرون) مع سياق الآيات المجاورة وهذا لم يتوفر في اسم الفاعل الخاسرين، والفواصل في الآيات تتناسب مع (الأخسرون) ، أما الفواصل في سورة النحل فتتناسب مع (الخاسرون) فقد تضمنت الفواصل ألفاً نحو (الكافرين والغافلين) فجاءت مناسبة لاسم الفاعل الخاسرون [٣٩] وقد قال الزركشي في ذلك : " ... فلا بد أن يتضمن المعنى أكثر مما تضمنه في الخاسرون فإذا زيدت الفاظ وجب زيادة في المعنى ضرورة " [٤٠] والمبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان ومن ذلك الفعل نزّل جاء في قوله تعالى: ﴿ مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ﴾ [٤١] والفعل أنزل في قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ﴾ [٤٢] وكذلك في سورة النجم ورد الفعل (نزّل) في الآية[٣٣] في سياق المجادلة والمحاورة والعذاب وذلك في قوله تعالى: ﴿ ...قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴾ [٤٣] أما اللفظان الآخران فلم يقعا في السياق ذاته، وعليه فإن " ما ورد في سورة الأعراف من

([٣٣]) سورة نوح، الآية ١٠.
([٣٤]) سورة هود، الآية ٢٢
([٣٥]) سورة النحل، الآية ١٠٩
([٣٦]) سورة هود، الآية ١٧
([٣٧]) سورة هود، الآية ١٨
([٣٨]) سورة هود، الآية ٢٠
([٣٩]) الاسكافي، الخطيب(٢٠٠٢م) درة التنزيل، اعتنى به: خليل مأمون شين ، ط١، دار المعرفة، بيروت، ص ١٥٧.
([٤٠]) الزركشي، بدر الدين(١٩٨٨م) البرهان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد أبو الفاضل، ج٣، دار الجيل، بيروت ، ص٣٤ ،وطبع كذلك في دار الحديث، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦ القاهرة، ص ٦١٧
([٤١]) سورة الأعراف، الآية ٧١.
([٤٢]) سورة يويف، الآية ٤٠
([٤٣]) سورة الأعراف ، الآية ٧١.

المجادلة والمحاورة أشد من الموطنين الآخرين "[٤٤] ومن تناسب الصيغ مع السياق كذلك قوله تعالى : ﴿ يَـأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [٤٥] وقوله تعالى: ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾ [٤٦] جاء التعبير بصيغة المبالغة (سحَّار) للدلالة على أن الملأ وصف فرعون لموسى بالسحر وتأكيده على أنه يريد أن يخرجهم من أرضهم بسحره فناسب ذلك أن يقابلوا ذلك بالوصية بالإتيان بكل سحار عليم يفوق سحر موسى، أما في سورة الأعراف فجاءت اللفظة اسم فاعل (ساحر) وقد علل بعض المفسرين [٤٧] مجيئ صيغة المبالغة في الشعراء دون الأعراف بأن المبالغة في الشعراء مناسبة لقول فرعون (إن هذا لساحر عليم) أما في سورة الأعراف كما يقول أحد الباحثين [٤٨] إنه لم ينص على المحذور وهو إخراج موسى لهم من أرضهم لذا ناسب أن تأتي الصيغة باسم الفاعل دون مبالغة . نكتفي بما ذكرنا من شواهد فهي غيض من فيض وقد مثلنا بأمثلة تثبت التناسب بين الصيغ الصرفية للألفاظ ومعانيها وهذا يؤكد إعجاز القران الكريم . وبما أن اللفظ يرتبط بمعناه ارتباطاً قوياً، سننتقل إلى الكلام عن نمو المعنى ودواعيه وقد أكد عبد القاهر[٤٩] أن الفصاحة والبلاغة وتخير اللفظ عبارة عن خصائص ووجوه تكون معاني الكلام عليها، وعن زيادات تحدث في أصول المعاني.

تنمية معاني الألفاظ:

هي التنمية الرأسية التي تجعل لمبنى اللفظ معنيين: المعنى الوصفي"المعجمي"، والمعنى الإضافي أو الجديد الذي يُحدثه المجاز، وغيره من وسائل البيان.

أول من أشار إلى طبيعة المعاني التي نقصدها هو الجاحظ الذي قال: " المعاني القائمة في صدور العباد، المتصورة في أذهانهم والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم ، والحادثة في فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة معدومة ... وإنما تحيا تلك المعاني في ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها "[٥٠] فالمعاني المتصورة في الذهن أو في الخاطر لا تحيا إلا عند ذكر الكلم الدالة عليها واستعمالها في نشاط كلامي في نظر الجاحظ وعلى أساس تلك النظرة بنى عبد القاهر رأيه في الألفاظ المفردة وإفادتها للمعنى حيث يقول : " الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن ينضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد "[٥١].

وتنمية المعنى يسميه علماء اللغة بالتنمية الرأسية والأفقية التي تجعل لمبنى اللفظ معنيين : المعنى المعجمي أي الرأسي والمعنى الجديد أي الأفقي الذي تكتسبه اللفظة من السياق أو من وضعها الجديد سواء أكان عن طريق المجاز بأنواعه، أو الكناية بأشكالها ، أو بالتمثيل وهذه جعلها علماء البلاغة تعبيراً عن الصورة الفنية . ورغم

([٤٤]) السامرائي، فاضل صالح(٢٠٠٠م) بلاغة الكلمة ، ط١، دار الفكر ، عمان، ص ٦٦.

([٤٥]) سورة الشعراء، الآية ٣٧

([٤٦]) سورة الأعراف، الآية ١١٢.

([٤٧]) الرازي ، فخر الدين(د.ت) مفاتيح الغيب، ج١٢، دار الغد العربي، القاهرة، ص١٢٠.

([٤٨]) عبدالحميد أحمد يوسف، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص١٠٣-١٠٤.

([٤٩]) الجرجاني، دلائل الإعجاز ، مرجع سابق، ص ٣٥٧

([٥٠]) الجاحظ، عمرو بن بحر (١٩٣٢م) البيان والتبيين، تحقيق: حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية ، بمصر ، ص ٧٧.

([٥١]) الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص ٤١٥ – ٤١٦.

أن دراسة التراكيب أي تركيب الألفاظ هي التي تبين المعنى وتجعله أكثر وضوحاً إلا أننا في هذا البحث سنتناول الألفاظ مفردةً ومركبة. لأن التراكيب البلاغية هي تراكيب مكونة من الألفاظ التي تحمل المعاني ، وهي تراكيب صائبة بالضرورة، والدلالة التركيبية هي كلٌ لا يتجزأ، والكلمة المفردة لا توصف بحقيقة ولا مجاز ولا كناية ولا تشبيه، فهي تتسمى بالتسميات السابقة لعلاقتها مع ما ألفت معه وأسندت إليه، والمعنى الفني أو البلاغي هو الذي نقصده وهو الذي يحمل إيحاءات دلالية خاصة مرتبطة بالصياغة الفنية باشكالها التعبيرية الخاصة وهو يتحقق في الآتي:

١. **المجاز :**

من وسائل تنمية المعاني المجاز، لأنه يعني استخدام مبنى اللفظ في معنى غير المعنى الذي وضع له للدلالة عليه لعلاقة بين المعنى الأول والمعنى الثاني، فإذا ما كثر استخدام المعنى المجازي لحق بالحقيقة .[٥٢] أي يصبح اللفظ ذا معنيين أحدهما وضعي (معجمي) والثاني مجازي، ويتناسى الناس المجاز ويصبح المعنى الثاني (المجازي) حقيقيًّا كأن اللفظ وضعه واضع اللغة للدلالة عليه، وهذا نجده واضحاً في تطور دلالة الألفاظ الإسلامية مثل الصلاة، الزكاة ...إلخ، فالصلاة في اللغة الدعاء، ومعناها الحالي كان مجازياً وأصبح الآن حقيقياً. كذلك الزكاة معناها في اللغة النماء، والحج في اللغة القصد إلى معظم ، والمعنى الحالي لكلا اللفظين كان مجازياً تطور بكثرة الاستخدام وألفه الناس فصار حقيقياً متبادراً إلى الذهن، وعلى ذلك فيُعد المجاز وسيلة من وسائل تنمية اللغة وذلك لأن تنميته رأسية لمعاني الألفاظ، ومثل ما ذكرنا في المصطلحات الإسلامية سماه بعض العلماء المجاز المنسي أو المنقول تمشياً مع تسمية معجم ألفاظ القرآن الكريم . فالمجاز نقل والنقل قد يكون نقل المعاني من المحسات إلى المعنويات ، وهو نقل مفيد لأنه يجعل المتكلم يمسك عن التعبير القبيح وينتقل إلى الجيد المقبول عند المخاطبين، ثم أنه يصور المعنويات إلى حسيات يدركها الإنسان المخاطب بحواسه، ويُعَدُّ من أهم وسائل تنمية اللغة لأن كثيرًا من المباني اللفظية ذات معان متعددة ، يحدد معناها المقصود في النص المعين علاقاتها المجازية فتبرز معانيها الخفية المقصودة وذلك مثل كلمة (اليد) الجارحة لها معانٍ كثيرة منها السلطان، وعلاقتها تكون الآلية أو الجزئية لأن اليد جزء من (السلطان) أو الحاكم وهي أكثر الجوارح استخداماً وبسبب استخدامها يتوفر له القوة والغلبة ، وبذا نجد للفظ اليد معنيين : أحدهما وضعي (معجمي) وهو الجارحة والآخر مجازي، وهو القوة، ومن معانيها المجازية النعم، وبتكرار هذا الاستخدام المجازي قد يتحول اللفظ إلى حقيقة . فالمجاز يسعف الفرد الذي لم يجد في محفوظه اللفظة المعبرة عن فكرة ، كما أنه يثير الانتباه ويمتع السامع ويدهشه لفنيته ، وهكذا فقد أولى علماء اللغة والبلاغة للمجاز أهمية كبرى في مباحثهم ، فها هو ابن فارس[٥٣] يرى أن أصل المجاز مأخوذ من جاز يجوز إذا استنى مضياً يمضي لسنته لا يعترض عليه .... وقد أورد الجاحظ شواهد كثيرة له منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ [٥٤] وقوله تعالى: ﴿ ...أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ... ﴾ [٥٥] ويعلق

---

(٥٢) ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص ٤٤٧.

(٥٣) ابن فارس، أحمد (١٩٧٧م) الصاحبي، تحقيق: السيد أحمد جعفر، ط١، مطبعة عيسى الحلبي، مصر، ص ٣٢٢- ٣٢٣.

(٥٤) سورة النساء، الآية ١٠.

(٥٥) سورة الحجرات، الآية ١٢.

عليها بأن : " هذا كله مختلف وهذا كله مجاز " [٥٦] أما بن قتيبة فيرى مثل هذه التعبيرات مجازًا وأسلوبًا وطريقة أداء حيث يقول : " وللعرب المجازات ومعناها طرق القول ومآخذه فمنها الاستعارة والتمثيل. وقد تنبه شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن المجاز إلى عملية المواضعة المتجددة ، وأن الدلالة الوضعية تتطور مع تطور العصور دون أن تتجمد بإذاء لفظ معين ، وأن المجاز قد يتحول إلى وضع لغوي جديد ولذا نجده يعرف المجاز بأنه : " كل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول ، فهو مجاز، وإن شئت قلت : كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعاً لملاحظة ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها"[٥٧] ويقول: " إن المجاز يصل إلى الخروج من نطاق العملية الاصطلاحية لأنه يبعد ليبعد كثيراً عن القياس والاطراد وهذا كله دلالة على الحيوية والخصوصية والتجدد ... وكذلك الأمر في الاستعارة "[٥٨] ونحن نذهب إلى أن المجاز نماء وتمكين للمتكلم أن يعبر عما في نفسه بطرق فنية جميلة، وقد سمى علماء الأسلوب المحدثين مثل هذا بالكلام النفعي أوالاستبدالي، حيث يقول أحدهم: " إن عملية الكلام النفعي أو الإبلاغي يحدث فيها ما يسمى (بالاستبدال) ويقصد به مجموعة الألفاظ التي يمكن للمتكلم أن يأتي بواحد منها في كل نقطة من سلسلة الكلام " [٥٩] وقد اشترط البلاغيون أن يكون استعمال الكلمة في غير ما هي له بوجود قرينة، قد تكون لفظية أو حالية تفهم من السياق .

أنواع المجاز:

المجاز المرسل:

يقول في تعريفه الخطيب القزويني: " كلما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه "[٦٠] وهذا الضرب من المجاز له وجوه كثيرة حسب العلاقات ، من علاقاته :

١. تسمية الشئ باسم جزئه، كالعين في الجاسوس لأن الجاسوس يعتمد على العين في عمله، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ ﴾ [٦١] أي صلِ والقيام جزء من الصلاة التي تكون فيها تكبيرة الإحرام والركوع وغير ذلك من التكبيرات والقراءة والسجود ... إلخ .
٢. تسمية الشئ باسم كله ، وهو عكس السابق كقوله تعالى: ﴿ ...يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم... ﴾ [٦٢] أي أناملهم .
٣. تسمية المسبب باسم السبب ، وذلك كقول الشاعر :

إذا نزل السماء بأرض قوم

رعيناه وإن كانوا غضاباً [٦٣]

الشاهد في قوله رعيناه أي رعينا الغيث والغيث لا يرعى وإنما ترعى النباتات التي تسبب فيها الغيث، ومثاله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ ..وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ.. ﴾[٦٤] تجوز بالبلاء عن العرفان لأنه مسبب عنه كأنه قيل : ونعرف أخباركم ، وعليه كذلك قول عمرو بن كلثوم : "

ألا لا يجهلن أحد علـــينا

([٥٦])الجاحظ، الحيوان، مرجع سابق، ص ٥-١٠

([٥٧]) الجرجاني، أسرار البلاغة، مرجع سابق، ص ٣٠٤.

([٥٨]) المرجع السابق، ص٣١٥.

([٥٩]) محمد عبد المطلب(١٩٨٤م) البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية للكتاب ، ص٦٢-٦٣.

([٦٠]) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مرجع سابق، ص ٢٦٦.

([٦١]) سورة المزمل، الآية ٢.

([٦٢]) سورة البقرة، الآية ١٩.

([٦٣]) قائله معاوية بن مالك ، كما ذكر صاحب المفضليات، ص ٦٩٥

([٦٤]) سورة محمد، الآية ٣١.

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فالجهل الأول حقيقة والثاني مجاز عبر به عن مكافأة الجهل وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[٦٥] تجوز بلفظ السيئة عن الاختصاص لأنه مسبب عنها.

٤. تسمية السبب باسم المسبب: كقولهم : أمطرت السماء نباتاً أي مطراً يتسبب في إنبات النبات ومثاله من الشعر قول الشاعر " **أقبل في المستن من ربـــابه**

أسنمة الآبال في سحابه [٦٦]

الشاهد في أسنمة الآبال فالجمال السمينة يظهر سمنها في كبر سنامها، فكبر السنام مسبب عن كثرة أكل النباتات الذي تسبب فيه كثرة الأمطار ، وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ ..وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ... ﴾[٦٧] يقول القزويني : "إنزال الماء جاء على وجهٍ ، لأنها لا تعيش إلا بالنباتات، والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها " [٦٨] وجاء قوله تعالى: ﴿...وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ... ﴾ [٦٩] أي مطرًا هو سبب الرزق . وعلاقات المجاز المرسل كثيرة جداً، وبما أننا لسنا بصدد الحصر بل بإثبات أثر المجاز في تطور المعنى في القرآن الكريم واتساعه فنكتفي بما ذكرنا .

المجاز العقلي:

ننتقل من المجاز المرسل إلى نوع آخر من المجاز هو المجاز الحكمي أو العقلي كما سماه الخطيب القزويني وقال في تعريفه :" وأما المجاز فهو إسناد الفعل، أو معناه إلى ملابس له، غير ما هو له بتأول"[٧٠] هذا المجاز يتعلق بالإسناد؛ لذا اختلف فيه العلماء هل هو من علم البيان أو علم المعني ؟ والذي يعنينا في هذا المقام هو أنه يمثل نوعاً من أنواع تطور المعنى وثرائه ، وله علاقات كثيرة كسابقه، وذلك لأن للفعل ملابسات شتى، فهو يلابس الفاعل ، والمفعول به ، والمصدر، والزمان، والمكان، والسبب ... إلخ فمثال ملابسة الفعل للفاعل قوله تعالى : ﴿ ...عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ ﴾ [٧١] والحقيقة مرضية، وفي المصدر (شعر شاعر) ، وفي الزمان (نهاره صائم) وفي المكان (نهر جار) إلى غير ذلك من العلاقات الأخرى، وسمي عقلياً لاستناده إلى العقل دون الوضع ، لأن الإسناد هنا يحدث بقصد المتكلم دون واضع اللغة ، لذا قال فيه السكاكي: " المجاز العقلي هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه بضرب من التأول" [٧٢] واتفق معه الشيخان الجرجاني والزمخشري، ومن العلاقات التي كثر مجيؤها في القرآن الكريم السببية قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ... ﴾[٧٣] نسبت الزيادة التي هي فعل الله إلى الآيات لكونها سبباً فيها ، وكذلك قوله تعالى: ﴿ ...يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ... ﴾[٧٤] الفاعل غير فرعون وهم الجند ، رغم ذلك نسب الفعل إليه لكونه الآمر به ، الظرفية قال تعالى:

([٦٥]) سورة الشورى، الآية ٤٠

([٦٦]) المستن الواضح – الرباب : السحاب الأبيض – الآبال : الجمال

([٦٧]) سورة الزمر، الآية ٦.

([٦٨]) الخطيب القزويني، الإيضاح، مرجع سابق.

([٦٩]) سورة غافر، الآية ١٣

([٧٠]) الخطيب القزويني، الإيضاح، ص٣٦.

([٧١]) سورة القارعة، الآية ٧.

([٧٢]) السكاكي، يوسف بن أبي بكر(١٩٨٢م) مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٥١٠.

([٧٣]) سورة الأنفال، الآية ٢

([٧٤]) سورة القصص، الآية ٤.

﴿ ...يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَانَ شِيبٗا﴾[٧٥] نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه ، فالجعلُ لله وقد نسب إلى اليوم لأنه حدث فيه .

الاستعارة:

والاستعارة تنمي المعنى من غير شك لذا قال فيها الجرجاني : " اعلم أن الاستعارة أمد ميداناً، وأشد افتناناً، وأوسع سعة، وأبعد غوراً، وأذهب نجداً في الصناعة، وهي الضرب الثاني من المجاز ، وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له [٧٦] فالاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه ، وعلاقتها المشابهة ، ومجاز لأنها تعني استخدام الكلمة في غير ما وضعت له ، وهي نقل كما يقول الجرجاني فيها : " أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد علي أنه اختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم " [٧٧] ويقول ابن الأثير في تعريفها : " نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول إليه " [٧٨] فمصطلح النقل في التعريفيين السابقيين يدل على التعبير الاستعاري، ويعني النقل أننا مع كل استعارة نكون إزاء معنيين أحدهما أصلي وضعي ، وثانيهما مجازي انتقلت إليه الكلمة . وقد ذهب الباحثون إلى أن دلالة الكلمة على هذا المعنى المجازي ليست في هذا التصور سوى تجاوز وانحراف عن الدلالة الوضعية التي تلازمها في عرف الاستعمال [٧٩] وعلى ذلك الكلمة المستعارة تقوم بوظيفتها في ظل علاقاتها ، لأن في الاستعارة يذكر أحد طرفي التشبية يراد به الطرف الآخر ، مدعياً المتكلم دخول المشبه في جنس المشبه به ، فالتشبيه هو أصل المعنى في كل استعارة، وللتخييل دوره في الوصول للقيمة الفنية مثال ذلك قول الشاعر :

إن السحاب لتستحي إذا نظرت

إلى نـــداك فقاستـــه بما فيها

يقول الجرجاني معلقاً عليه : " فالشاعر يوهمك بقوله : (إن السحاب لتستحي) أن السحاب حي يعرف ويعقل، وأنه يقيس فيضه بفيض كف الممدوح فيخزى ويخجل، فالاحتفال والصبغة في التصويرات التي تروق السامعين وتروعهم، والتخييلات التي تهز الممدوحين وتحركهم وتفعل فعلاً شبيهاً بما يقع في نفس الناظر إلى التصاوير التي يشكلها الحذاق بالتخطيط والنقش أو النحت والنقر، فكما أن تلك تعجب وتخلب وتروق وتونق ... كذلك حكم الشعر فيما يصفه من الصور ويشكله من المبدع ، ويوقع في النفوس من المعاني التي يتوهم الجامد الصامت في صورة الحي الناطق ، والموات الأخرس في قضية الفصيح المعرب " [٨٠] فالتخييل هو السر في بلاغة الاستعارة وعمق تأثيرها الفني ، وتنميتها للمعنى في نظر عبد القاهر، لأنها تشخص الجمادات وتجسد المعنويات تجسيدًا حيًّا . وقد فرق الخطيب القزويني[٨١] بين التخييل والخيال، وبين الكذب والاستعارة من وجهين :

الأول: بناء الدعوى فيها على التأويل أي تأويل دخول المشبه في جنس المشبه به.

([٧٥]) سورة المزمل، الآية ١٧.

([٧٦]) الجرجاني، أسرار البلاغة، مرجع سابق، ص ٢٠-٢١.

([٧٧]) المرجع السابق.

([٧٨]) ابن الأثير، المثل السائر، مرجع سابق، ص ١٤٢.

([٧٩]) حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، مرجع سابق، ص ١٢٥.

([٨٠]) الجرجاني، أسرار البلاغة، مرجع سابق، ص ٢٧٧-٢٧٨.

([٨١]) الخطيب القزويني، الإيضاح، مرجع سابق، ص ٢٦٤.

الثاني: نصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها. والتكذيب يتبرأ من التأويل ولا توجد فيه قرينة.

أقسام الاستعارة:

أقسامها كثيرة حصرها بعضهم في ستة أقسام وزاد آخرون والمشهور من تلك التقسيمات أنها تنقسم باعتبار الطرفين، وباعتبار الجامع، وباعتبار الثلاثة، أي الطرفين والجامع، وباعتبار اللفظ، وباعتبار أمر خارج .

أولاً باعتبار الجامع: وهو وجه الشبه الذي يشترك فيه الطرفان (المشبه والمشبه به) إلى قسمين هما

أ- أن يكون الجامع داخلًا في مفهوم الطرفين ومثاله: في الخبر "كل ما سمع هيعة طار إليها" [٨٢] فإن الطيران والعدو يشتركان في أمر داخل في مفهوم الطرفين ، وهو قطع المسافات بسرعة ، ولكن الطيران أسرع من العدو، وكاستعارة التقطيع والتفريق للجماعة وإبعادهم بعضهم عن بعض نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا... ﴾ [٨٣] يقول القزويني: " فإن القطع موضوع لإزالة الاتصال بين الأجسام التي بعضها ملتصق ببعض، فالجامع بينهما إزالة الاجتماع التي هي داخلة في مفهوم الطرفين وهي في القطع أشد " [٨٤] ومثال ذلك قول المتنبي الذي استعار فيه النثر لاسقاط المنهزمين وتفريقهم : "

نثــرتهم فوق الأحيدب نثــرة

كما نثرت فوق العروس الدراهم

ب- ما لا يكون الجامع داخلًا في مفهوم الطرفين: كقولنا وردت بحراً ونحن نريد رجلاً كريماً ، فالجامع هو الكرم والجود وهو غير داخل في مفهوم الطرفين .

ثانياً: باعتبار الطرفين ، تنقسم إلى قسمين لأن اجتماعهما إما ممكن أو ممتنع ، الأولى تسمى وفاقية ، والثانية عنادية ، نحو قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ... ﴾ [٨٥] الوفاقية في أحييناه والمراد (بأحييناه) هديناه ويمكن أن يجتمع الهدى والحياة في الإنسان . أما العنادية في (ميتاً) لأن ميتاً تعني ضالاً، والضلال والموت لا يجتمعان، وأيضاً تنقسم إلى عامية مبتذلة لاكتها الألسن لظهور الجامع فيها كقولك : "رأيت شمساً" وأنت تعني إنساناً جميل المحيا، وخاصية غريبة وهي التي لا يستطيع أن يأتي بها إلاَ من ارتفع عن طبقة العامة كقوله تعالى: ﴿ ...وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ... ﴾ [٨٦] جمع بين النار والشيب بالاشتعال الذي من لوازم النار وجُعل للشيب وهذا أمر في غاية الغرابة والدقة والجمال مما يؤكد على إعجاز القرآن الكريم .

ثالثا: باعتبار اللفظ: تنقسم إلى أصلية وتبعية، الأصلية هي ما يكون اللفظ المستعار فيها ذات أو اسم جنس نحو قولنا: "رأيت أسداً يتكلم " والتبعية هي التي يكون المستعار فيها فعلاً أو مشتقاً نحو قوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [٨٧] بشر فعل وارتبطت البشارة هنا بالعذاب مع أن أصلها الشئ الجميل الذي يبشر به فذكر العذاب دليل على أن بشَر استعارة تبعية تهكمية .

رابعاً: باعتبار ذكر المشبه به وحذفه: تنقسم إلى تصريحية ومكنية، التصريحية : هي المصرح فيها بلفظ

([٨٢]) مسلم، مسلم بن الحجاج(د.ت) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد ، وكثرة العمال، حديث رقم١٠٥٧٠، د.ن.

([٨٣]) سورة الأعراف، الآية ١٦٨

([٨٤]) الخطيب القزويني، الإيضاح، مرجع سابق، ص ٢٨٥.

([٨٥]) سورة الأنعام، الآية ١٢٢ .

([٨٦]) سورة مريم، الآية ٤.

([٨٧]) سور الانشقاق، الآية ٢٤.

المشبه به، أما المكنية: هي التي لا يصرح فيها بالمشبه به، يخفى ويذكر شئ من لوازمه وهي الأبلغ كقوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ [٨٨] شبه الذل بطائر بجامع الخضوع واستعير الطائر للذل ثم حذف ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الجناح، وإثبات الجناح للذل استعارة تخيلية. والاستعارة التصريحية كقولنا : " كلمت بدراً " وأنا أريد إنساناً له شأن وارتفاع قدر حيث شبه الإنسان بالبدر .

خامساً: باعتبار الطرفين والجامع: وهي ستة أقسام وتقسيماتها الست تتبني على أن يكون المشبه والمشبه به والوجه إما عقلية أو حسية أو مشتركة بين الاثنين .

سادساً: باعتبار اقترانها بما يلائم المستعار منه أو المستعار له أو عدم اقترانها بما يلائم أحدهما إلى ثلاثة أقسام مرشحة، مجردة ، مطلقة .

والاستعارة بجميع ضروبها وتعدد مذاهبها أعلى مرتبة من التشبيه وأقوى في المبالغة منه لما فيها من تناسي التشبيه، وإدعاء الاتحاد بين المشبه والمشبه به كأنهما شئ واحد ، يطلق عليها لفظ واحد مبالغة وتقريباً للمعنى في ذهن السامع، واستثارة لخياله ، واختلاباً للبه ليقنع بما يقال له ، وقد جاءت في القرآن الكريم للوعظ والإرشاد، التبشير والتحذير والإنذار والتقريع إلى غير ذلك .

وهنالك ما يسمى بالاستعارة التمثيلية فهي من المجاز المركب، والشبه فيها يكون صورة ، فهي تأتي مما يسمى التشبيه التمثيلي وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ ﴾ [٨٩] والغضب لا يسكت. وقوله تعالى: ﴿ ...وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ... ﴾ [٩٠] كناية عن قوة التمكن والقدرة .

الكناية:

الكناية ليست دلالة صريحة مباشرة لذا فهي من صور نمو المعنى لأن بها نكون أمام دلالتين : صريحة وضعية (معجمية) ودلالة غير صريحة أو خفية وفي تعريفها يقول القزويني : " لفظ أريد به لأزم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ كقولك : فلان طويل النجاد أي طويل القامة "[٩١] ومن ذلك قولهم فلانة نؤوم الضحى، أي مرفهة مخدومة، غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات، وذلك أن وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش، وكفاية أسبابه ، وتحصيل ما يحتاج إليه في تهيئة المتناولات ، وتدبير إصلاحها ، فلا تنام فيه من نسائهم إلاَ من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي، وهذا المعنى المكني عنه لا يمنع أن يكون نومها وقت الضحى صحيح من غير تأول . وهذا هو الفرق بينها وبين المجاز لأن المعنى الثاني في المجاز لا يصح من غير تأول لأن المجاز ملزوم قرينة منعت إرادة المعنى الحقيقي ، ففي قولنا مثلاً رأيت شمساً تضحك لا يصح أن نريد معنى الشمس المعروفة لوجود كلمة (تضحك) لأن الضحك من لوازم الإنسان، فالمعنى الثاني هو إنسان بهي الطلعة كالشمس في جمالها، وهذا معنى قول الجرجاني : " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره بلفظه الموضوع له في اللغة ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئ به إليه ، ويجعله دليلاً عليه " [٩٢] وقد

([٨٨]) سورة الإسراء، الآية٢٤

([٨٩]) سورة الأعراف، الآية ١٥٤ .

([٩٠]) سورة الزمر ، الآية ٧٦

([٩١]) الخطيب القزويني، الإيضاح، مرجع سابق، ص ٣١٣.

([٩٢]) الجرجاني، أسرار البلاغة ، مرجع سابق، ص ١٢١.

جعل الدكتور حسن طبل [٩٣] وغيره أن الكناية شكل من أشكال الانحراف في الدلالة . وسماها قدامة بن جعفر[٩٤] الإرداف والتتبع ، وقال فيها ابن الأثير : " الكناية كل لفظ دل على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز " [٩٥] فهو يقول في قوله تعالى:﴿ ... أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ... ﴾[٩٦] إنه إن حمل على الجماع كان كناية لأنه ستر الجماع بلفظ اللمس الذي حقيقته مصافحة الجسد الجسد ، وإن حمل على الملامسة التي هي مصافحة الجسد الجسد كان حقيقة ولم يكن كناية [٩٧] ومما جاء في الحديث قول الرسول ﷺ " رفقاً بالقوارير[٩٨] وروي أيضاً " سوقك بالقوارير " المقصود من القوارير النساء لرقتهن ، ولأن النساء يضعفن عن شدة الحركة . ذهب البلاغيون إلى أن الكناية أبلغ من التصريح وذلك لأننا لو قلنا : " هو كريم " ثم قلنا " هو كثير الرماد " فإننا في كلا التعبيرين نثبت معنى واحدًا وهو الكرم رغم إننا في التعبيرين اثبتنا معنى الكرم ولكن بلاغة التعبير الثاني تتمثل في أن الإثبات فيه لم يتعلق بصريح لفظ الكرم بل بكثرة الرماد الذي قوى المعنى لوجود شاهد الكرم وهو كثرة الرماد لذا يقول عبد القاهر الجرجاني: " إنك إن كنيت عن كثرة القرى بكثرة رماد القدر كنت قد أثبت كثرة القرى باثبات شاهدها ودليلها ... وذلك لا محالة يكون أبلغ من إثباتها بنفسها " وقد تابعه الزمخشري [٩٩] في نظرته إلى وظيفة الكناية ومزيتها فهي عنده صورة من صور الإثبات، والمعنى فيها أقوى من التصريح، وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ ﴾[١٠٠]حيث يرى أن قوله تعالى : (فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ) كناية عن ترك العناد ، لأن اتقاء النار لصيقة وضميمة ترك العناد من حيث إنه من نتائجه لأن من اتقى النار ترك المعاندة . وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الإيجاز الذي هو من شأن القرآن فمزية الكناية في التعبير القرآني عند الزمخشري، وَجَازَةُ التعبير عن المعنى والتهويل، فهي تأتي بالمعنى المؤثر، ومن مزاياها أن هناك معانيَ لا يمكن التصريح بها يعبر عنها عن طريق الكناية ، والكناية تكون حسنة إذا جمعت مع الفائدة لطف الإشارة، يقول أحمد مصطفى المراغي : " الكناية فن من التعبير لجأ إليه العرب استكثاراً للألفاظ التي تؤدي ما يقصد من المعاني ، وبها يتغنون في الأساليب ويزينون ضروب التعبير ويكثرون من وجوه الدلالة " [١٠١] من فوائد الكناية أنه يمكن بواسطتها أن ينصب الدليل على كل قضية ويقام البرهان على كل مدعي من ذلك قول المتنبي وهو يذكر وقيعة سيف الدولة لأعدائه :"

فمساهم وبسطهم حرير* وصبحهم وبسطهم تراب**

أي قهرهم وأذلهم بعد أن كانوا أعزة ، لكنه تلطف في التعبير ونصب الدليل على صحة دعواه ، فأشار إلى

([٩٣]) المعنى في البلاغة العربية، مرجع سابق، ص١٤٧.

([٩٤]) قدامة بن جعفر(١٩٧٨م) نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة.

([٩٥]) ابن الأثير، المثل السائر، ج٢، مرجع سابق، ص ٢٤٣.

([٩٦]) سورة النساء، الآية ٤٣.

([٩٧]) ابن الأثير، المثل السائر، مرجع سابق، ص ٢٤٣.

([٩٨]) البخاري ، محمد بن اسماعيل(صحيح البخاري) كتاب الأدب – باب (٩٠ ، ٩٥، ١١١، ١١٦)

([٩٩]) الزمخشري، الكشاف، ج١، مرجع سابق، ص٥٠.

([١٠٠]) سورة البقرة، الآية ٢٤ .

([١٠١]) المراغي، أحمد مصطفى(٢٠٠٧م) علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، ط٤، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ص٣٠٨.

عزتهم أولاً بافتراشهم بسط الحرير ثم إلى ذلتهم بعد افتراشهم بسط التراب، ومن فضائل الكناية إلباس المعقول ثوب المحسوس نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ ﴾ [١٠٢] فيه تعبير لطيف وتصوير دقيق (حمالة الحطب) أي النمامة التي تفسد ذات البين وتهيج الشر وهذا في الوصف مناسب لحالها ، وعندما يقرأ الإنسان الآية يخيل إليه أنها ممسكة حطبها بيدها تشعل فيه النار لتوقد العداوة والبغضاء بين القوم .

والكناية تجعلك تترك الألفاظ غير المألوفة إلى ما هو أجمل وآنس مثل المفازة للصحراء وهي مهلكة ، وبها يستطيع المتكلم ترك الألفاظ المستهجنة كما جاء في كثير من آي القرآن الكريم لا سيما التي تتعلق بالنساء كالنهي عن أخذ المهور بعد الدخول، قال تعالى: ﴿ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ [١٠٣] والتعبير عن أشياء يحسن إخفاؤها من ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ ﴾ [١٠٤] وتقبيح الشئ ليترك نحو قوله تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ .... ﴾ [١٠٥] فإنه كني عن الغيبة بأكل الإنسان لحم إنسان أخر مثله ، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله ميتاً ، ثم جعل ما هو في الغاية من الكراهية موصولاً بالمحبة وهو الأخ وكل واحدة من هذه الدلالات الأربع مناسبة لما وضعت له .

أقسامها:

١. كناية يطلب بها صفة من الصفات كالجود والكرم أو الندم كقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ ... ﴾ [١٠٦] أي لما اشتد ندمهم وحسرتهم مع عبادة العجل .
٢. المطلوب بها موصوف كقول الشاعر :

الضاربين بكل أبيض مخزم

والطاعنين مجامع الأضغان

الشاهد في قول الشاعر (مجامع الأضغان) وهي القلوب فالقلوب موصوفة بأنها مجامع الأضغان.

٣. المطلوب بها النسبة: أي ثبوت أمر لأمر أو نفيه عنه مثل: " المجد بين ثوبيك " لم يصرح بالمجد بل كنى عنه بكونه بين ثوبيه .

أقسامها من حيث الوسائط:

تنقسم إلى خمسة أقسام هي: تعريض، وتلويح ، ورمز، إيماء وإشارة .

هذه بعض وسائل تنمية المعاني وفي أبحاث قادمة أن شاء الله سنفرد التشبيه بالدراسة، لأنه من أفضل متممات المعنى .

الخاتمة:

تناولت في هذا البحث أثر تنمية مباني الألفاظ ومعانيها في بلاغة القرآن الكريم، وقد عالجت في البحث قضايا لها علاقة مباشرة بالبحث من بينها إشكالية العلاقة بين اللفظ والمعنى، وما يجب أن ينشأ بينهما من تلاحم ليتم بهما المراد وهو الفهم والتأثير، وتناولت في البحث وسائل تنمية مباني الألفاظ ومعانيها وأثر ذلك في بلاغة القرآن الكريم .

وتوصل البحث إلى النتائج الآتية:

١. أثرت تنمية مباني الألفاظ في بلاغة القرآن الكريم تأثيراً كبيراً ، برز ذلك من خلال ما أوردناه من آيات ثبت من

([١٠٢]) سورة المسد، الآية ٤ .

([١٠٣]) سورة النساء ، الآية ٢١.

([١٠٤]) سورة البقرة ١٩٧

([١٠٥]) سورة الحجرات، الآية ١٢.

([١٠٦]) سورة الأعراف، الآية ١٤٩ .

خلال تحليلها أن الألفاظ المختارة من بين ما ماثلها من جذر جاءت متلائمة مع جاراتها وأدت معاني فنية بديعة مما يؤكد تعميق الإيمان بإعجاز القرآن الكريم .

٢. المزية للألفاظ حسب الموضع وحسب المعنى الذي تؤديه ، أي حسب نظمها في سياق فني جميل ، وهنالك فرق كبير بين البنية والصيغة وهو أن الصيغة عبارة عن قوالب تصاغ فيها الألفاظ ، أما البنية فهي ما يرجع إلى أصول الكلمات ، أي مجموعة الأحرف التي تتكون منها الكلمة ، وعليه فمجئ صيغ مختلفة ذات جذر واحد في سياقات متماثلة، مثل بعض بلاغة في الآيات .

٣. المعاني الناشئة من نظم الآيات ، جاءت جميلة مثيرة في سياقها ، وتمخضت عنها معانٍ ثوان أي دلالات غير مباشرة خرجت المفردات من معانيها المباشرة إلى تلك المعاني المجازية والاستعارية والكنائية مما نتج عنه جمالٌ واتساعٌ وصورٌ جميلة وتشخيص وتجسيم .

٤. تحققت بلاغة القرآن الكريم في أن المعاني الإضافية (غير المباشرة) وضحت الأغراض والدواعي التي لأجلها جاءت الآيات الكريمة . فالألفاظ والصيغ أدتا وظيفتيهما من خلال خدمة المعنى العام.

التوصيات:

١. أن يكمل الدارسون العمل في كتاب الله لا سيما في تنمية الألفاظ وعلاقتها بتحسين اللفظ فيما يسمى بالمحسنات اللفظية، وتنمية المعنى وعلاقته بالمحسنات المعنوية .

٢. تنمية مباني الألفاظ و معانيها وأثرها في بلاغة الحديث الشريف .

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١. ابن رشيق، أبي علي الحسن(١٩٨١م) العمدة في محاسن الأدب، حققه : محمد محي الدين، ط٥، دار الجيل، بيروت.

٢. الجاحظ، عمرو بن بحر(١٩٧٩م) الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، ج٣، الهيئة المصرية، القاهرة .

٣. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم(١٣٣٢هـ) الشعر والشعراء، ج١، مطبعة الفتوح الأدبية ، مصر.

٤. الجرجاني، عبد القاهر (١٩٩٧م) دلائل الإعجاز، شرحه وعلق عليه: د. محمد التنجي، دار النشر للكتاب العربي..

٥. أبي هلال العسكري(د.ت) الصناعتين، حققه: صفيد قسمه، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.

٦. الخطيب القزويني(١٤٢٩هـ) الإيضاح في علوم البلاغة، راجعه محمد عبد القادر، المكتبة العربية، صيدة ، بيروت.

٧. عمايرة، أحمد(٢٠٠٤م) في النقد الأدبي، ط١، مكتبة الرشد ، الرياض.

٨. إبن جني، أبو الفتح عثمان(١٩٥٢م) الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار،ج٢، دار الكتب المصرية، مصر.

٩. عبد الحميد أحمد يوسف(٢٠٠٨م) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، المكتبة العصرية ، صيدة ، بيروت.

١٠. حسن طبل(١٩٩٨م) المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، مصر.

١١. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها (١٩٧٩م) الهيئة المصرية للكتاب.

١٢. محمد مندور (٢٠٠٨م) النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر.

١٣. أبو عبيدة معمر بن المثنى(د.ت) مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٤.الزمخشري، محمود بن عمر(١٩٦٦م) الكشاف، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
١٥.ابن الأثير، ضياء الدين(١٩٩٨م) المثل السائر، حققه: الشيخ كامل محمد، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٦.الاسكافي، الخطيب(٢٠٠٢م) درة التنزيل، اعتنى به: خليل مأمون شين ، ط١، دار المعرفة، بيروت.
١٧.الزركشي، بدر الدين(١٩٨٨م) البرهان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد أبو الفاضل، ج٣، دار الجيل، بيروت.
١٨.السامرائي، فاضل صالح(٢٠٠٠م) بلاغة الكلمة ، ط١، دار الفكر ، عمان.
١٩.الرازي ، فخر الدين(د.ت) مفاتيح الغيب، ج١٢، دار الغد العربي، القاهرة.
٢٠.الجاحظ، عمرو بن بحر (١٩٣٢م) البيان والتبيين، تحقيق: حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية ، بمصر.
٢١.ابن فارس، أحمد (١٩٧٧م) الصاحبي، تحقيق: السيد أحمد جعفر، ط١، مطبعة عيسى الحلبي، مصر.
٢٢.محمد عبد المطلب(١٩٨٤م) البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية للكتاب.
٢٣.السكاكي، يوسف بن أبي بكر(١٩٨٢م) مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٤.مسلم، مسلم بن الحجاج(د.ت) صحيح مسلم، د.ن.
٢٥.قدامة بن جعفر(١٩٧٨م) نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة.
٢٦.البخاري ، محمد بن اسماعيل(صحيح البخاري) د.ن.
٢٧.المراغي، أحمد مصطفى(٢٠٠٧م) علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، ط٤، دار الكتب العلمية ، بيروت.